بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن كثير رحمه الله : وقوله تعالى :] وكل شيء أحصيناه في إمام مبين [أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ ، والإمام المبين هاهنا هو أم الكتاب ، قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وكذا في قوله تعالى :] يوم ندعو كل أناس بإمامهم [أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر .

كما قال عز وجل :] ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء [، وقال تعالى :] ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا [.

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

ففي قوله تبارك وتعالى : **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** يقول تبارك وتعالى إنه ما من شيء إلا وقد أحصاه ، أي عده وحفظه وجعله محفوظاً على العباد وللعباد ، كل شيء يحدث فهو محفوظ ومحصى عند الله جل وعلا ، سواء في ذلك أعمال العباد أو غير أعمالهم مما يجري في ملكوت الله .

قال هنا : **وكل شيء أحصيناه** يعني أحصينا كل شيء **في إمام مبين** . والإحصاء يأتي لعدة معانٍ ، منها : أن يكون للعدد ، للعد ، ومنها أن يكون للحفظ ، ومنها أنً يكون للعد الخاص ، يعني العد الذي يراد منه إنفاذ شيء في المعدود ، كما

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** ﴾ عطف العد على الإحصاء فدل على أن ثم تغايراً بين العد والإحصاء .
وكذلك فيما جاء في السنة في قوله عليه الصلاة والسلام : ((إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة))
وفُسر الإحصاء هنا بأشياء : منها الحفظ ، ومنها العد الخاص .
قوله هنا : ﴿ **وكل شيء أحصيناه** ﴾ أي حفظناه مع العد الخاص الذي يتبعه إنفاذ شيء في المعدود . ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ والإمام هنا أختلف في تفسيره كما سمعت على قولين :
الأول : أن يكون الإمام هو اللوح المحفوظ ؛ لأنه به يقع ائتمام الكتب ، فكل كتاب يأتم بما في اللوح المحفوظ ، فالتقدير الخاص الذي يكون كل سنة في ليلة القدر هذا التقدير يكون مؤتماً بما في اللوح المحفوظ . وكذلك التقدير الخاص بالإنسان إذا نُفخت فيه الروح من كتابة رزقه وأجله وهل هو شقي أو سعيد ، وكتابة عمله ، هذه الكتابة يؤتم فيها بما في اللوح المحفوظ . وهكذا في أنواع من الكتابة في أنواع التقديرات المختلفة التقدير اليومي والسنوي والعمري إلى آخر أنواع التقديرات ، هذه كلها يؤتم فيها بما في اللوح المحفوظ ، ولهذا صار اللوح المحفوظ إماما للكتب التي تتبعه ، وهي كالتفصيل لما فيه من أنواع التقديرات المختلفة .
وفُسر بأن الإمام هو ما يُكتب على الإنسان ، كتاب الأعمال الذي يكتبه الملكان ، قال جل وعلا : ﴿ **وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين** ﴾ فهم يكتبون ما يعمله المرء وما يلفظه وما يفعله ، كل هذا محصى ومسطر في هذا الكتاب الذي بأيدي الملائكة ، وهذه هي الصحف التي تُنَشَّر يوم القيامة ، وهو الكتاب الذي يُنشر لأصحابه يوم القيامة ﴿ **فمن أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية ...** ﴾ إلى آخر الآية .

سُميَّ إماماً لأنه يؤتم بما فيه من حيث الإقرار ومن حيث الجزاء ، ووصف الله جل وعلا هذا الإمام بأنه مبين ، قال : ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ يعني في كتاب مبين . ومبين : قد

تكون من أبان اللازمة أو أبان المتعدية ، يعني قد يكون مبين في نفسه وقد يكون مبين لغيره ، وهذان المعنيان جميعاً يصدقان على اللوح المحفوظ ، وكذلك يصدقان على كتاب ابن آدم الذي يُضع فيه عمله . وقد جاء في القرآن وصف القرآن بأنه مبين ﴿ **والكتاب المبين** ﴾ يعني أنه بين في نفسه واضح لا لبس فيه ولا غموض ولا اشتباه ولا إشكال . وكذلك مبين لغيره من العقائد والأحكام والأخبار والقصص .. إلى آخر ذلك .

وهذا الإمام الذي هو اللوح المحفوظ هو بين في نفسه ، وكذلك مبين لغيره ، يعني مبين لما جعله الله جل وعلا فيه من أنواع القدر وما كتبه فيه .

كذلك صحف الأعمال هذه بينة في نفسها ، إذا رآها المرء واطلع عليها يوم القيامة فإنه لا يُنكر منها شيئا بل تكون بينة واضحة ، كما قال سبحانه : ﴿ **ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا** ﴾ وقال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ **يوم نأتي كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه** ﴾ يعني جنس الكتب التي هي إمام لأصحابها .

يعني أن الإمام سواء أكان اللوح المحفوظ أو كان صحف الأعمال ، فهو بين في نفسه ومبين لغيره . فإذاً في قوله : ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ مبين هذه في القرآن تأتي من إبان اللازمة يعني أن يكون بيناً في نفسه ، وتأتي لإبانته لغيره ، وهذا موجود في اللوح المحفوظ ، يعني هذا الوصف منطبق على اللوح المحفوظ وعلى ما في صحف الأعمال ، وعلى القرآن العظيم الذي وصفه الله جل وعلا بأنه مبين .

﴿ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين ﴾ .

يقول تعالى واضرب يامحمد لقومك الذين كذبوك ﴿ مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ﴾ قال

ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه أنها مدينة أنطاكية وكان بها ملك يقال له انطيخس ابن انطيخس بن انطيخس [1] ، وكان يعبد الأصنام فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم [2] فكذبهم . وهكذا روي عن بريدة بن الحُصيب وعكرمة وقتادة والزهري أنها انطاكية وقد استشكل بعض الأئمة كونها انطاكية بما سنذكره بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى .

الشرح :

(1) هذه مأخوذة من الإسرائيليات ، كثير من أخبار الأمم التي قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، يعني من أخبار بني إسرائيل ، من أنبيائهم ومن قبلهم ، هذه في الغالب تؤخذ في كتب التاريخ من التوراة أو من تفاسير التوراة ، يعني من كلام علماء بني إسرائيل على التوراة . وهذا يأتي في كتب التفسير كثيرا أكثر من كلام المؤرخين .

(2) وهب بن منبه له كتاب في التاريخ مطبوع ومن أقدم الكتب التاريخية .

وقوله تعالى ﴿ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ﴾ أي بادروهما بالتكذيب ﴿ فعززنا بثالث ﴾ أي قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث .

قال ابن جُرَيْر عن وهب بن سليمان عن شعيب الحبابي قال : كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية انطاكية

﴿ فقالوا ﴾ أي لأهل تلك القرية ﴿ إنا إليكم مرسلون ﴾ أي من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لاشريك له .

قاله أبو العالية : وزعم قتادة بن دعامة إنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل

انطاكية قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا أي فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر فلم لا أوحي إلينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة . وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة ، كما أخبر تعالى عنهم في قوله عز وجل ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا أي استعجبوا من ذلك وأنكروه .

وقوله تعالى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين ، وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله جل وعلا ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون ، وقوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا .

ولهذا قال هؤلاء ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون أي أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم أنا رسله إليكم ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات وما في الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون

 وما علينا إلا البلاغ المبين يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة وإن لم تجيبوا فستعلمون غب ذلك والله أعلم .

الشرح :

في قول الله تعالى : ﴿ **واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون** ﴾ في قوله ﴿ **مثلاً** ﴾ وجهان من الإعراب : إما أن تكون مفعولاً به أول ويكون (أصحاب القرية) هو المفعول الثاني ، أو أن تكون (أصحاب القرية) هي المفعول الأول مؤخر و(مثلا) هو المفعول الثاني مقدم ، وهذا أوجه وأظهر .
قال هنا : واضرب لهم أصحاب القرية مثلا . هذا سبك الكلام ، وقُدم المفعول الثاني ـ على هذا الاختيار ـ قُدم المفعول الثاني على الأول وهو مثلا لأنه يُراد معرفة المثل دون معرفة أصحاب القرية ، يعني أنه قُدم ليكون الاهتمام بالمثل لا بأصحاب القرية .
قال : ﴿ **واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية** ﴾ هنا المثل واقع على أصحاب القرية وهم أهلها والمقيمون فيها الذين أُرسلت إليهم الرسل . والقرية : أصلها من التقري وهو الاجتماع ، والقرية في القرآن تطلق على المدينة العظيمة الكبيرة ، فيُطلق على المدينة العظيمة الكبيرة قرية وكذلك يُطلق عليها مدينة .
قال هنا : ﴿ **واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية** ﴾ وقال في سورة الكهف : ﴿ **وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا** ﴾ وقال : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ وهكذا . وقد يُطلق على المدينة أنها قرية وكذلك على القرية أنها مدينة ؛ لأن الاعتبار هنا بالنظر إلى المعنى اللغوي ، فالقرية من التقري وهو الاجتماع ، والمدينة من الإقامة لأنها من مدن بالمكان يعني أقام به .

....

قال هنا : ﴿ **واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية** ﴾ (ال) هنا للعهد ، يعني قرية معهودة ، ما هي ؟ خاض المفسرون في تفسيرها ـ كما سمعتم ـ قال بعضهم هي أنطاكية ، وقال بعضهم هي غيرها . والعبرة هنا ليس باسم القرية وإنما العبرة بالمثل المضروب لأصحاب القرية .
قال : ﴿ **إذ جاءها المرسلون** ﴾ و(إذ) بمعنى حين ، يعني هي ظرف زمان ، يعني حين جاءها المرسلون ، وتارة تكون (إذ) في القرآن قبلها واو ، وتارة تكون من دون واو . فإذا كان قبلها واو فالغالب أن تكون منصوبة بفعل مضمر تقديره اذكر ، كقوله تعالى : ﴿ **وإذ نجيناكم** ﴾ وكقوله : ﴿ **وإذ نتقنا** ﴾ ونحو ذلك . فيكون التقدير واذكر إذ : يعني واذكر حين . وإذا لم يكن قبلها واو فيكون

الفعل الذي قبلها مسلطاً عليها ، يعني واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها : يعني حين جاءها المرسلون ، فلا يكون الفعل المسلط على (إذ) اذكر .
وهنا فائدة مهمة وهي أنه إذا صار قبلها الواو فإن معنى ذلك أنه يستحضر جميع تفاصيل ذلك الزمان ، قال **وإذ نجيناكم من آل فرعون** يعني واذكروا إذ نجيناكم ، اذكروا إذ ، فيكون الزمان المعبر عنه بإذ مستحضر بجميع تفاصيله وجميع هيئاته وجميع ما حصل فيه بحيث يكون ماثلا أمام الذي أمر بالتذكر ، وهذا يعني أنه أبلغ في إيقاع المقصود من الكلام والعبرة منه والتذكير بالحقوق التي في الكلام من ما لو صار التذكير بغير هذا .
وإذ نجيناكم : يعني واذكروا إذ .
وهنا في قوله :] **واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون** [يفيد أن العبرة كانت حين جاءها المرسلون ، فالمثل ضُرب لأصحاب القرية ليس قبل أن يأتيهم المرسلون بل بعد أن جاءهم المرسلون . معنى ذلك أن تلك القرية وأن أصحابها لم يكونوا بأهل أن يُمثل لهم أو أن تُضرب لهم الأمثال حتى وقعوا في هذا الأمر الجلل العظيم وهو حين جاءها المرسلون فإذ جاءها المرسلون فأرسلنا إليهم

....

اثنين فكذبوهما . فقوله هنا : **إذ جاءها المرسلون** يعني ذلك الحين الذي فيه وقع المثل والعبرة من فعل أصحاب القرية مع المرسلين .
قال جل وعلا بعدها : **إذ أرسلنا إليهم اثنين** أرسلنا إليهم اثنين : يعني من الرسل ، الرسل لا تكون إلا من الرجال ، فالرسول لا يقع إلا بشر ، ولابد أن يكون من أهل القرى ولا يكون من أهل البادية ، بل لابد أن يكون من أهل القرى ، كما قال سبحانه في سورة يوسف : **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى** وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً : هذا فيه شرط أن يكون الرسول رجلاً ، قال من أهل القرى : فيه شرط أن يكون الرسول من أهل القرى . فليس في المرسلين امرأة وكذلك ليس في الأنبياء امرأة .
قال هنا :] **إذ جاءها المرسلون** إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث [كذبوهما : يعني ردوا الرسالة ، فعززنا بثالث :

التعزيز التقوية ، وهو أحد معاني اسم الله (العزيز) عززنا : أي قوينا ، وأصله مأخوذ من عزاز الأرض وهو الأرض الصلبة القوية بخلاف الأرض اللينة الطرية السهلة فهذه مجانبة للعزاز ، فالأرض الصلبة يقال لها عزاز لأنها قوية صلبة ، وأُخذ منه عززنا : يعني قوينا . وفي القراءة الأخرى (عزرنا بثالث) من التعزير وهو النصرة والتقوية .

 فعززنا بثالث يعني برسول ثالث ، وهذا يدل على عِظم عناية الله جل وعلا بتلك القرية .

 فقالوا إنا إليكم مرسلون هذا فيه إثبات الرسالة بشهادة أولئك الأنبياء لأنفسهم بأنهم مرسلون من عند الله ، وكل رسول يُعطى آية تدل على صدقه وبرهان يدل على أنه صادق فيما ادعاه من الرسالة . **فقالوا إنا إليكم مرسلون** كان جواب أولئك ، قالوا : **ما أنتم إلا بشر مثلنا** وهذه الشبهة كثير بل كل أقوام الرسل يستدلون على إبطال الرسالة بأنهم بشر . ولهذا قال جل وعلا : **وما منع الناس**

....

أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً وقال سبحانه في سورة الفرقان : **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو ...** إلى آخره . يعني هم أرادوا أن يكون الرسل من غير جنسهم . قال : **يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون** بين جل وعلا أن الرسل لابد أن يكونوا من جنسهم . لو كان الرسول ملكاً كيف يمكن للملك أن يخاطبهم ، لابد أن يكون الملك على صورة رجل ، كما قال سبحانه في آية الأنعام : **ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون** ولو جعلناه ملكاً كما طلبوا لجعلناه رجلاً حتى يفهموا عنه ، وحتى يجامعهم ويجلس في أنديتهم وأمكنتهم الوقت الطويل فيفقهوا عنه ويقيم عليهم الحجج ويبلغهم برسالات الله . **قال : وللبسنا عليهم ما يلبسون** يعني ولوقع عليهم اللبس والغموض الذي أرادوا أن ينفوه وأن يتخلصوا منه .

إذاً لابد من حكمة الله ، والله جل وعلا أعلم بخلقه أن جعل الرسل بشراً .
هنا ردوا الرسالة **قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا** [وهذا حصر ، (ما) إذا أتى بعدها (إلا) يكون للحصر ،] **ما أنتم إلا بشر** [حصروهم في البشرية ، قالوا أنتم محصورون في البشرية ، ومعنى ذلك أن الرسل عندهم لا تكون بشرا ولا يمكن إذاً باللازم أن تكونوا أنتم رسلا .
 قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا [والمثلية هذه نظروا فيها إلى الأكل والشرب والمشي في الأسواق والنكاح ونحو ذلك مما يفعله البشر .
 قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون وهذا أيضاً حصر آخر **إن أنتم إلا تكذبون** حصروا قولهم في الكذب ، يعني أنتم كذبة ليس في قولكم شيء من الصحة ، فصاروا إذاً منكرين للرسالة

....

أعظم الإنكار . فكرروا عليهم صدقهم في أن الله جل وعلا مرسلهم ، **قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون** وهنا أُكدت بأنواعٍ من المؤكدات ومنها اللام هذه التي يُخاطب بها من كان منكراً أو منزلاً منزلة المنكر **قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون** ربنا وربكم هو ذو العلم بأنه أرسلنا إليكم وأنا مرسلون إليكم أفلا يكفي علم الله جل وعلا فينا وفيكم ؟ أفلا تكفي شهادة الله جل وعلا فينا وفي شأننا وفي حالنا وفيكم ؟ كما قال سبحانه في آية سورة العنكبوت : **قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السماوات وما في الأرض** وقال في آية الإسراء : **قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم** يعني أن شهادة الله جل وعلا كافية لو كانوا يعقلون . وكفى بالله شهيداً ، وكفى بالله حسيباً . شهادة الله فوق كل شهادة لو كانوا يعقلون .

 قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذُكرتم بل أنتم قوم مسرفون .

فعند ذلك قال لهم أهل القرية إنا تطيرنا بكم أي لم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا . وقال قتادة : يقولون إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم ، وقال مجاهد : يقولون لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عُذب أهلها . لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ، قال قتادة : بالحجارة ، وقال مجاهد : بالشتم . وليمسنكم منا عذاب أليم أي عقوبة شديدة فقالت لهم رسلهم طائركم معكم أي مردود عليكم ، كقوله تعالى في قوم فرعون فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ، وقال قوم صالح اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله ، وقال قتادة ووهب بن منبه : أي أعمالكم معكم . وقال عز وجل وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولون هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

وقوله تعالى أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام

وتوعدتمونا وتهددتمونا بل أنتم قوم مسرفون . وقال قتادة أي إن ذكرناكم بالله تطيرتم منا بل أنتم قوم مسرفون .

الشرح :

لما أصر الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم ، لما أصروا على الدعوة وكرروها

....

وقابلوا أولئك وثبتوا عليها تطير أولئك منهم ، ومعنى تطيروا منهم يعني تشاءموا ، كما قال هنا : ﴿ **إنا تطيرنا بكم** ﴾ يعني تشاءمنا منكم فأنتم أصبحتم طائر سوء علينا ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون في الطير ويتفرع عن الاعتقاد في الطير من أنواع التطير التشاؤم ، وقالوا لهم ـ كما سمعتم في التفسير ـ أنه ما أتى أمثالكم إلى أهل بلد إلا جاءهم العذاب فظنوا بل غالطوا فجعلوا مجيء العذاب بسبب هؤلاء بسبب الرسل ، والرسل لو أطيعوا كانوا سبباً من أسباب السعادة الدنيوية والأخروية ، لكن لما عصت القرى الرسل وظلموا أهلكهم الله جل وعلا ﴿ **تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا** ﴾ لما عصوا وكذبوا الرسل جاءهم العذاب ، لما لم يتبعوا الرسل كانوا حقيقين بعذاب الله جل وعلا لكن أولئك المشركون والكفرة جعلوا السبب الذي من أجله يجيء العذاب إلى القرى هو بعثة ومجيء هؤلاء المصلحين الرسل الذين أرسلهم الله جل وعلا للدعوة إلى إخلاص الدين وعبادته وحده دونما سواه .

إذاً قوله هنا : ﴿ **إنا تطيرنا بكم** ﴾ يعني تشاءمنا بكم ، فإن بقيتم فينا فسيحل بنا العذاب لأنكم أصحاب شؤم .

وأنواع العذاب التي يتشاءمون منها : إما العذاب الدنيوي بمعنى منع ما يسرهم ، وإما الاستئصال في الدنيا أيضاً ، مثل ما قال أصحاب فرعون لموسى ومن معه

﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه** ﴾ يعني إذا جاءهم خصب وسعة ورزق من الله جل وعلا ومطر وخير قالوا لنا هذه ، قالوا نحن المستحقون لها ونحن أهلها لما لنا من استحقاق ذلك ، وإذا جاءهم غير هذا من الجدب والقحط وبعض المصائب التي تأتي على

الناس في الدنيا ، قالوا هذا سببه موسى ومن معه ، فبقاؤهم فينا ووجودهم فينا سبب لنا هذه المصائب وهذه السيئات ، فصاروا علينا شؤماً . قال : **وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه** يعني يتشاءمون بموسى ومن معه ويقولون هؤلاء هم سبب ذلك .

....

كذلك في هذه السورة ، في قصة أصحاب تلك القرية **قالوا إنا تطيرنا بكم** يعني تشاءمنا ، وبسبب ذلك خافوا أنهم لو بقي الرسل فيهم أنهم يقع عليهم العذاب ويستأصلون أو تقع عليهم أنواع القحط والجدب وأنواع البلايا . لذلك أقسموا قسماً بقولهم :
 لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم
أقسموا : لئن لم تنتهوا ، اللام هذه هي الواقعة في جواب القسم تسمى موطئة للقسم ، يعني أقسموا بآلهتهم أو أقسموا بالله ؛ لأن المشرك يؤمن بالله ويؤمن بآلهته .
قالوا لهم : **لئن لم تنتهوا** يعني إن ما تركتم هذه الدعوة وهذا البلاغ الذي آتيتم به وهذا الدين ، الذي هو إخلاص العبادة لله وحده والخضوع له واتباع أوامر الرسل الذين جاءوا من عند الله ، لئن لم تنتهوا عن ذلك لنرجمنكم . وفي قوله :
 لنرجمنكم هنا أنواع من الموكدات منها اللام ومنها نون التوكيد الثقيلة . والرجم هنا فُسر بأنه القتل ، يعني الرمي بالحجارة الذي ينتج بالقتل أو أنواع القتل التي تماثل في غايتها ونتيجتها الرجم بالحجارة .
والقول الثاني **لنرجمنكم** يعني بالشتم والسب والعيب حتى ننفر الناس منكم .
والأول بالنظر إلى معنى الرجم اللغوي ، والثاني أيضاً بمعناه اللغوي ولكن بضميمة قوله بعد ذلك **وليمسنكم منا عذاب أليم** يعني لأنهم إذا ما رجموا فماتوا لا يصلح أن يمسوا بعد ذلك بعذاب . لكن قوله **لنرجمنكم** هذا يشمل هذا وهذا ، فإن كان الرجم بالشتم والسب ونحو ذلك فإن العذاب يكون بعده ، هذا ظاهر . وإذا كان الرجم بالقتل فإن الواو لا تقتضي ترتيباً بين المتعاطفين .
قال : **لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** فيكون قوله وليمسنكم منا عذاب أليم هذا غير الرجم ، غير مرتب على الرجم

بل يكون قبله إذا كان معنى الرجم القتل . وأصل الرجم في اللغة وأيضاً فيما جاء في القرآن من الاستعمال لهذه الكلمة أصله الرمي ، رجم بالشيء يعني رمى به ، ورجم بالحديث يعني رمى به على عوائنه

....

من دون تدقيق ولا توثيق . قال جل وعلا : ﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب** ﴾ يعني رمياً بالغيب وهذا من رمي الكلام ، وهذا كما قال الشاعر : وما هو عنها بالحديث المرجم . يعني الذي رُجم به ورمي من غير تدقيق ولا توثقة . ولهذا المعنى ، معنى الرمي أطلق على الجمار ، الجمار التي هي الحصا الصغار أُطلق عليها هذا الاسم الجمار ؛ لأنها يرجم بها بمعنى يرمى بها . فالأصل أنه الرمي ثم تفرع عنه أشياء منها الرمي بالحجارة الصغار . فالرمي بالحجارة الصغار يقال له رجم لأنه من الجمار ، من باب الاشتقاق الأكبر .
قال هنا ، يعني الكلمة لها عدة تفاصيل أخر ، قال : ﴿ **لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** ﴾ وليمسنكم منا عذاب أليم : الأصل أن تكون (منا) متأخرة : وليمسنكم عذاب أليم منا . لكن تقديم ما الأصل فيه التأخير يكون لفائدة ، والفائدة هنا أن تكون العداوة موجودة قبل وجود العذاب ، وليمسنكم منا : يعني من جهتنا لأجل ما قام في قلبنا من العداوة لكم قبل أن يقع بكم العذاب ، يعني يريدون التأكيد والتنبيه على وقوع العذاب منهم بخصوصهم حتى يكون التخويف وإبانة العداوة أعظم .
قال : ﴿ **عذاب أليم** ﴾ العذاب وصف هنا بأنه أليم ، وأليم فعيل بمعنى مفعل يعني مؤلم . والعذاب هو اسم للتعذيب ، عذب يعذب تعذيبا والاسم العذاب ، وهذا ينقاس على فعل إذا كانت سليمة من حروف العلة ، مثل سلم تسليما وسلاما ، وطلق تطليقا وطلاقا ، وأشباه ذلك . فإذاً هي التعذيب ، والتعذيب مصدر عذب وأصله من العذب ، والعذب الحبس ، أصلاً عَذَبَ الشيء يعني حبسه في اللغة . ويطلق على كل حبس عذب ، والماء الذي يصفو من الكدر ويصفو من القذر ويسلم من الشوائب يسمى ماء عذباً لأنه يصير طيباً سليماً من العلائق ومن الشوائب ونحو ذلك بالعذب وهو الحبس ، وهو أن ينقل من الغدير أو من البركة ، بركة الماء يعد المطر

ويجعل في إناء يحبس فيه حتى تترسب علائقه وما يكدره فيبقى الباقي عذبا ، سمي عذبا لأنه صار كذلك بالعذب وهو الحبس ، وأطلق على ما يصيب الإنسان مما لا يلائمه أطلق عليه عذاب ؛ لأن الأصل فيه الحبس . ولهذا قال بعض العلماء في بيانهم لمفردات القرآن ، قالوا : العذاب هو حبس ـ أحد تعريف العذاب على استعمال القرآن له أو على الاستعمال في القرآن له ـ قالوا : العذاب هو حبس ما يسر النفس ويحسن عندها عنها وإفاضة أضداد ذلك عليها ، أو حبس ما يلائم النفس ويسرها عنها وإفاضة أضداد ذلك عليها . وبهذا التعريف يصير أن العذاب يطلق على القليل والكثير ، فيقال : تعذب فلان إذا صار عليه شيء من الألم ولو لم يكن ألماً كبيراً . وعليه حُمل قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)) . قوله هنا : **وليمسنكم منا عذاب أليم** يعني نوع بل أنواع من العذاب الذي وصِف بأنه مؤلم بعد السب والشتم الذي حصل لهم قبل القتل إذا كان فُسرت (لنرجمنكم) بالقتل .

 قالوا طائركم معكم هذا جواب الرسل قالوا طائركم معكم . طائركم يعني شؤمكم ملازم لكم ، ليس الشؤم قد أتى من غيركم بل هو ملازم لكم . وأصل الطائر ما يطير عن الإنسان . في قوله **طائركم معكم** يعني : ما طار عنكم من العمل هو سبب شؤمكم ، كما قال سبحانه **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** يعني ما طار عنه من العمل إن خير أو شر . **قالوا طائركم معكم** يعني سبب الشؤم هو ما طار عنكم من العمل السيئ الذي هو الشرك بالله ومعصية الله جل وعلا ومعصية رسله .

 أئن ذُكرتم يعني من العجب أن تقولون هذا بعد أن ذُكرتم ، أئن ذُكرتم تقولون ذلك ! أئن دُللتم على الخير ودللتم على ما به فلاحكم ونجاحكم وسعادتكم وما به الخير لكم في الدنيا والآخرة تقولون ذلك ! أهذا جزاء من دعاكم إلى الله جل وعلا

لا يسألكم على دعوته أجرا وإنما يريد لكم الخير لأنكم قومه ولأنكم محبوبون له ولأنكم لابد أن تُرشدوا إلى ما به صلاحكم ،

أهذا جزاء المخلصين ، أهذا جزاء الدعاة لكم ؟! أئن ذكرتم ؟! يعني استنكار أن يكون ذلك جواباً مناسباً بعد ذلك التذكير . فبعد التذكير وبعد الدعوة إلى الخير والهدى يكون ذلك الجواب! لاشك أن هذا جواب بشع ، يعني جواب المشركين للرسل .

قالوا بعد ذلك **بل أنتم قوم مسرفون** يعني هذا وصفكم ونعتكم أنكم قوم مسرفون ، والقوم في اللغة تطلق على الرجال بالخصوص ؛ لأنهم هم الذين يقومون بالمهمات ويقومون بمعالي الأمور وبالأمور العظام ، وقد يدخل فيهم النساء بالتبع . فمن الأول قوله تعالى : **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن** عطف النساء على القوم فدل على التغاير بين اللفظين وأن النساء لا يدخلون في القوم ، وذلك برعاية المعنى اللغوي .

وقد تدخل فيها بحكم التبع ، كما قال تعالى عن بلقيس : **إنها كانت من قوم كافرين** **يعني لأنها تبع لهم أو هم تبع لها .**

قال هنا : بل أنتم قوم مسرفون **ومسرفون : اسم فاعل الإسراف ، والإسراف : هو مجاوزة الحد المأذون به ، الإسراف مجاوزة الحد المأذون به فكل من جاوز الحد الذي أُذن به عُد مسرفاً . والإسراف خلاف التبذير ، التبذير : إنفاق المال في غير وجهه ودون تحري مواقعه ، مأخوذ من البذر ، وهو أن يأتي الباذر بالبذر في يده فيجعله عن يمين وعن شمال دون تحرٍ لمواقعه بخلاف الغرس .**

قال هنا : بل أنتم قوم مسرفون **يعني قد جاوزتم الحد المأذون به بذلك الفعل الذي فعلتموه وهو التكذيب ، وذلك القول الذي قلتموه وهو قول :** لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم **أما الإسراف في الشرع فهو مجاوزة**

....

الحد.المأذون به شرعا ، فكل من جاوز الحد المأذون به شرعا مما يكون في

الأطعمة أو في الأشربة أو في الإنفاق أو في غير ذلك يكون مسرفا .